مجلة الحق

تصدر عن كلية القانون – جامعة بني وليد – ليبيا

Website: https://www.al-haqjournal.ly/index.php/alhaq/index

العدد الثالث عشر ، يونيو 2024، عدد خاص بالمؤتمر الدولي الأول لكلية القانون

دور الخطاب القرآني في مكافحة الفساد

د. مصطفى فرج محمد بن حميد

قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية ، كلية الآداب والعلوم "قصر الأخيار" ، جامعة المرقب ، ليبيا.

mbenhmead@gmail.com

The Role of Quranic Discourse in Fighting Corruption

Dr. Mustafa Faraj Mohamed Bin Humaid

Department of Arabic Language and Islamic Studies, College of Arts and Sciences “Qasr al-Akhiar”, Al-Marqab University, Libya.

تاريخ الاستلام: 25-04-2024 تاريخ القبول: 13-05-2024 تاريخ النشر: 01-06-2024

الملخص

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من بعثه الله هدى ورحمة للعالمين. أما بعد.

القرآن الكريم بأساليبه المختلفة، كان وما زال يحارب ويكافح الفساد بكافة صوره وأشكاله ،ونحن اليوم، لفي أمس الحاجة للوقوف على هذه النصوص القرآنية وبيان معانيها، فجاءت هذه الدراسة "دور الخطاب القرآني في مكافحة الفساد" ، ويهدف البحث إلى بيان: معنى الفساد، والسور التي ورد فيها لفظ الفساد، وصور الفساد ومظاهره كما بيّنها القرآن الكريم وحذّرنا منها، والأساليب القرآنية في مكافحة الفساد.

الكلمات الدالة: الفساد، المفسدين، الخطاب، مكافحة، الطغيان.

Abstract

Praise be to God, Lord of the worlds, and prayers and peace be upon whomever God sent as guidance and mercy to the worlds. As for after.

The Holy Qur’an, in its various ways, was and still is fighting and combating corruption in all its forms and manifestations, and today we are in dire need to find out these Qur’anic texts and explain their meanings, so this study was “The Role of Qur’anic Discourse in Combating Corruption,” and the research aims to explain: the meaning of corruption, and the Surahs. In which the word corruption was mentioned, the images and manifestations of corruption as explained by the Holy Qur’an and warned us against it, and the Quranic methods in combating corruption.

Keywords: Corruption, spoilers, discourse, combat, tyranny.

مقدمة:

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من بعثه الله هدى ورحمة للعالمين. أما بعد.سأتناول في هذه الورقة البحثية، دور الخطاب القرآني في مكافحة الفساد، أقول وبالله التوفيق.

أولا_ أهمية الموضوع ودواعي اختياره.

القرآن الكريم بأساليبه المختلفة، كان وما زال يحارب ويكافح الفساد بكافة صوره وأشكاله.

ونحن اليوم، لفي أمس الحاجة للوقوف على هذه النصوص القرآنية وبيان معانيها، فجاءت هذه الدراسة "دور الخطاب القرآني في مكافحة الفساد".

ثانيا_ تساؤلات الدراسة.

لهذه الدراسة جملة من التساؤلات، كانت دافعاً أصيلاً لهذا البحث، فالسؤال الأبرز والرئيس يمكن صياغته على النحو الاتي:

ما دلالة الفساد؟ وما السور التي ورد فيها لفظ الفساد؟ ويتفرع من هذا أسئلة:

1_ما هي الألفاظ القرآنية ذات الصلة بلفظ الفساد؟

2_ما هي صور الفساد ومظاهره التي عرضها القرآن الكريم وحذّرنا منها؟

3_للخطاب القرآني أساليب مختلفة في مكافحة الفساد، فما هي هذه الأساليب؟

جاء هذا البحث بعون الله وتوفيقه؛ ليجيب عن كل هذه التساؤلات.

ثالثا_ مجال البحث وحدوده.

تقتصر الدراسة على لفظ الفساد في القرآن الكريم ومرادفاته واشتقاقاته، ودراسته دراسة تفسيرية موضوعية تُظهر عظمة القرآن الكريم، وعظمة منزلته.

رابعا_ المنهج المتبع في البحث.

اقتضت أن تكون المنهجية المتبعة في هذا البحث، على النحو الآتي:

المنهج الأول_ المنهج الاستقرائي.

تظهر ملامحه وذلك من خلال استقراء مشتقات لفظ الفساد في القرآن الكريم، ونظائره في السياق القرآني "مرادفاته".

المنهج الثاني_ المنهج التحليلي.

اعتمدته عند دراسة مشتقات الفساد في القرآن الكريم، ودراسته دراسة تفسيرية موضوعية.

خامسا_ خطة البحث.

تقتضي طبيعة هذا البحث، بأن تكون خطته على النحو الآتي:

المقدمة، وتتضمن: (أهمية الموضوع ودواعي اختياره، تساؤلات الدراسة، مجال البحث وحدوده، والمنهج المتبع في البحث، خطة البحث).

المطلب الأول_ دلالة لفظ الفساد، والسور التي ورد فيها، والألفاظ القرآنية ذات الصلة.

المطلب الثاني_ صور الفساد ومظاهره كما عرضها القرآن الكريم وحذرنا منها.

المطلب الثالث_ الأساليب القرآنية في مكافحة الفساد.

الخاتمة وتتضمن النتائج والتوصيات.

قائمة المصادر والمراجع.

المطلب الأول_ دلالة لفظ الفساد، والسور التي ورد فيها، والألفاظ القرآنية ذات الصلة.

أولا_ دلالة لفظ الفساد.

أ_ المعنى اللغوي:

عرّف علماء اللغة لفظ الفساد بتعريفات كثيرة، أذكر منها:

1_ قال ابن منظور: «الفسادُ: نقيض الصلاح، فَسَدَ يفسُد ويفسِد، وفسُدَ فساداً وفسوداً ... المفسَدَة خلاف المصلحة، والاستفسادُ خلاف الاستصلاح، قال الله تعالى: ﴿**ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ**﴾[1] والفساد هنا الجدب في البر، والقحط في البحر. يعني: المدن التي على ضفاف الأنهار»[2].

2_ قال الراغب الأصفهاني: «الفساد: خروج الشيء عن الاعتدال، قليلاً كان الخروج أو كثيراً ويضاده الصلاح ويستعمل ذلك في النفس والبدن»[3].

3_ قال الفيروز آبادي: «الفساد: أخذ المال ظلماً، والمفسدة ضد المصلحة وتفاسد القوم يعني تقاطعوا الأرحام» [4] .

فممّا سقناه من هذه التعريفات، يتبيّن أن الفساد جاء في اللغة مقابلاً للصلاح، وأنه يفيد الخروج عن الاعتدال، وأن المفسدة ضد المصلحة، وبالتالي فإن المتتبع لاستخدامات العرب لهذه اللفظة يجد أن لفظ الفساد يدور على المعاني (التلف والعطب، الاضطراب والخلل، الجدب والقحط، إلحاق الضرر).

ب_ المعنى الاصطلاحي " المعنى القرآني":

عرّف الفساد في الاصطلاح خلقٌ كثيرون، من فقهاء ومفسرين وقانونيين وغيرهم، ونظرا لخصوصية هذا البحث، كونه يتعلق بالخطاب القرآني، سأتناول تعريف هذا المصطلح بما يتفق مع طبيعته القرآنية.

جاء مدلول الفساد في الخطاب القرآني مدلول شامل لجميع أنواع الفساد وصوره؛ لذلك تناول المفسرون لفظ الفساد في القرآن بحسب ما يقتضيه السياق القرآني في الآية، وسأتناول هنا بعضا منها، والبقية سأشير إليها لاحقا إن شاء الله عند الحديث عن صور الفساد ومظاهره، وإليك بيان ذلك:

1_ جاء معنى الفساد شامل لكل صوره، في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا**﴾[5] يقول محمد رشيد رضا في معرض تفسيره لهذه الآية: «تقدّم نص هذه الجملة في آية (56)[1] خطابا لأمتنا

---

(1) الروم من الآية: 41.

(2) لسان العرب، ابن منظور. 5/ 335.

(3) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني. ص 636.

(4) القاموس المحيط، الفيروز آبادي. ص306.

(5) الأعراف: 85.

ففسرناها بما يناسب المقام. ونقول فيما يناسب المقام هنا: إن الإفساد في الأرض يشمل إفساد نظام الاجتماع البشري بالظلم وأكل أموال الناس بالباطل والبغي والعدوان على الأنفس والأعراض، وإفساد الأخلاق والآداب بالإثم والفواحش الظاهرة والباطنة وإفساد العمران بالجهل وعدم النظام. وإصلاحها هو ما يصلح به أمرها وحال أهلها من العقائد الصحيحة المنافية لخرافات الشرك ومهانته، والأعمال الصالحة المزكية للأنفس من أدران الرذائل، والأعمال الفنية المرقية للعمران وحسن المعيشة»[2].

2_ جاء معنى الفساد في سياق ذكر المنافقين، في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ١١ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ**﴾ [3].

يقول ابن عجيبة: « وإذا قيل لهؤلاء المنافقين: لا تفسدوا في الأرض بالمعاصي والتعويق عن الإيمان، وإغراء أهل الكفر والطغيان على أهل الإسلام والإيمان، وتهييج الحروب والفتن، وإظهار الهرج والمرج والمحن، وإفشاء أسرار المسلمين إلى أعدائهم الكافرين، فإن ذلك يؤدي إلى فساد النظام، وقطع مواد الإنعام، قالوا في جوابهم الفاسد: إنما نحن مصلحون في ذلك، فلا تصح مخاطبتنا بذلك، فإن من شأننا الإصلاح والإرشاد وحالنا خالص من شوائب الفساد، قال تعالى: ﴿**أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ**﴾ هنالك، ولكن لا شعور لهم بذلك»[4].

3_ أطلق القرآن مصطلح الفساد على تهديد الحياة الآمنة وترويع الآمنين بقطع الطريق عليهم، وإزهاق أرواحهم، ونهب أموالهم، كما هو شأن العصابات الإجرامية، ومن يطلق عليه جماعات النهب المسلح اليوم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا**﴾[5] يقول ابن جزي: « ﴿**ويسعون فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا**﴾ بيان للحرابة وهي على درجات: أدناها إخافة الطريق ثم أخذ المال ثم قتل النفس»[6] .

ويقول وهبة الزحيلي: «والسعي في الأرض بالفساد: هو إخافة الطريق بحمل السلاح وإزعاج الناس سواء صحبه قتل وأخذ مال أو لا»[7].

4_ جاء مصطلح الفساد في القرآن بمعنى القطيعة، قطيعة الأرحام والتدابر بين المسلمين، وقطع كل ما أمر الله به أن يوصل قال تعالى: ﴿**وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ**﴾ [8] ، يقول القرطبي في تفسيره لهذه الآية: «**سمموَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ** ﴾ أي: يعبدون غير الله تعالى ويجورون في الأفعال، إذ هي بحسب شهواتهم وهذا

---

(1) قال تعالى: **وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ**﴾

(2) تفسير القرآن الحكيم ، محمد رشيد رضا. 8/ 469.

(3) البقرة: 11_ 12.

(4) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أحمد بن عجيبة. 79/1.

(5) المائدة من الآية: 33.

(6) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي. 230/1.

(7) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي. 166/6.

(8) الرعد: 25.

غاية الفساد»[1].ويقول المراغي: « ﴿**وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ** ﴾ بظلمهم لأنفسهم وظلمهم لغيرهم بابتزاز أموالهم واغتصابها بلا حق، وتهييج الفتن بين المسلمين وإثارة الحرب عليهم، وإظهار العدوان لهم »[2] .

إذن الخطاب القرآني تناول كلمة الفساد من جوانب مختلفة، وخلاصة ذلك أن كل المخالفات خروج عن جادة الصلاح وانحراف عن الطريق المستقيم، سواء كانت هذه المخالفات في مجال السلوك أو مجال الجرائم الجنائية أو الحقوق المدنية أو الحقوق العامة.

وبالنظر والتأمل في التعريف اللغوي والاصطلاحي" القرآني"، لكلمة الفساد، نجد أن هناك توافقا تاما بين المعنيين فكلمة الفساد في اللغة تشمل الخراب والهلاك والقتل وغير ذلك من المعاني، ولم تخرج الكلمة الفساد في الاستعمال القرآني عن هذا المعاني.

ثانيا_ السور القرآنية التي ورد فيها لفظ الفساد.

وردت مادّة "فسد" في الخطاب القرآني في خمسين موضعا "في سبع وأربعين آية"، تارة بصيغة الفعل وتصريفاته (المضارع والماضي)، وتارة باسم الفاعل أو المصدر، سأكتفي هنا بذكر مثالا أو مثالين عن كل صيغة، وإليك بيان ذلك:

1_ صيغة الفعل. (المضارع_ الماضي)

أ_ الفعل المضارع.

الفعل المضارع "من مادة فسد" وردت في ثمانية عشر موضعا، نحو قول الله تعالى: ﴿**فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ**﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿**وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ** ﴾ [4]

ب_ الفعل الماضي.

ورد الفعل الماضي بصيغتي: "فَسَدَ، أَفْسَدَ" أربع مرّات؛ وذلك لإثبات سننٍ وحقائق متنوّعة كسُنَّة التّدافع للحفاظ على صلاح النّاس.

قال تعالى: ﴿**وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ**﴾[5]، وحقيقة التّوحيد أي استحالة تعدّد الآلهة، قال قال تعالى: ﴿**لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا**﴾ [6]، وحقيقة عدم التوافق المطلق بين الحق والهوى، أي فساد الكون إذا أُخْضع الحقّ للهوى، قال تعالى: ﴿**وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ**﴾[7] .

(1) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي. 247/1.

(2) تفسير المراغي، أحمد المراغي. 97/13.

(3) محمد: 22.

(4) الرعد: 25.

(5) البقرة من الآية: 251.

(6) الأنبياء من الآية: 22.

(7) المؤمنون من الآية: 71.

2_ بصيغة اسم الفاعل.

وردت مادة فسد في القرآن الكريم بصيغة اسم الفاعل في واحد وعشرين موضعا، مثال ذلك قول الله تعالى: ﴿**وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ**﴾[1] ،وفي قوله: ﴿**وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ**﴾[2] ، وكلّ هذه المفردات مشتقّة من الفعل المتعدّي "أفسد"، ولم تأت مطلقا بصيغة "فاسد" من الفعل "فسد"، إذ لا نجد فيها ذكرا لكلمة "الفاسدين" إطلاقا. ومدلول ذلك أنّ الخطاب القرآني اهتمّ أساسا بالمفسدين وأعلن الحرب عليهم وفضحهم؛ لشدّة خطورتهم وما لهم من تأثير سلبي على المجتمع خاصّة والأرض من حولهم عامّة.

3_ بصيغة المصدر.

ذُكر في أحد عشر موضعا، مثال ذلك، قول الله تعالى: ﴿**وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِ**﴾[3] وقوله تعالى: ﴿**ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ**﴾[4] . وخلاصة ما سبق، أقول:

1_ورد الفعل من مادّة "فسد" في كلّ السّياق القرآني مبنياً للمعلوم، إشارة إلى كشف اللّثام عن المفسدين وعدم التستّر عليهم، وبيان أحوالهم وفضح سلوكهم، وذلك لعظيم خطرهم على حياة الأمم والمجتمعات.

2_وردت أغلب ألفاظ الفساد والإفساد في القرآن الكريم متعلّقا بذكر الموضع حيث نلاحظ تلازم اللّفظ مع كلمة الأرض في ثمان وثلاثين آية من مجموع سبع وأربعين من مثال في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا**﴾[5]وهذا يدلّ أن الخطاب القرآني ينظر إلى الأرض في معالجته **لملف** الفساد كوحدة متكاملة لا تقبل التّجزئة.

3_ أمّا من حيث الجمع والفرد فقد وردت لفظة "المفسدين" عشرين مرّة، بينما لم ترد لفظة المفسد مفردة إلاّ مرّة واحدة في قوله تعالى: ﴿**وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ**﴾ [6]، والمراد باللفظ ﴿**ٱلۡمُفۡسِدَ**﴾ في هذه الآية جنس المفسدين، وليس مفسداً بعينه، فلام التعريف هنا هي لام الجنسية، وهذا يعزز القول بأن القرآن الكريم يولّى فساد الجماعة وإفسادها من الاهتمام ما لم يول فساد الفرد.

ثالثا_ الألفاظ ذات الصلة بكلمة الفساد في الاستعمال القرآني.

لأهمية قضية الفساد وخطورتها على الفرد المجتمع، استعمل الخطاب القرآني كلمات ذات الصلة بكلمة الفساد، إليك بيان معنى هذه الكلمات لغة واصطلاحا، ومدى صلتها بكلمة الفساد:

1_ الظلم.

الظلم لغةً: وضع الشيء في غير موضعه المختص به، إما بنقصان أو بزيادة، وإما بعدول عن وقته أو مكانه[7].

---

(1) هود: 85.

(2) المائدة من الآية: 64.

(3) القصص من الآية: 77.

(4) الروم من الآية": 41.

(5) الأعراف من الآية: 85.

(6) البقرة:220.

(7) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده. 23/10.

الظلم اصطلاحًا:

هو التعدي عن الحق إلى الباطل، وهو الجور، وقيل: هو التصرف في ملك الغير ومجاوزة الحد[1].

الصلة بين الظلم والفساد: من خلال التعريفين اللغوي والاصطلاحي يتبين أن الفساد أعم وأشمل من الظلم؛ إذ إن الظلم هو مجاوزة الحد فقط، والفساد هو خروج عن الاعتدال.

2_ الفسق.

الفسق لغة: الترك لأمر الله، وفَسق يفسُقُ فِسقاً وفُسُوقاً. وكذلك الميل إلى المعصية[2] .

الفسق اصطلاحًا:

يقول ابن حجر، هو:«ارتكاب كبيرة، أو إصرار على صغيرة أو صغائر ولم تغلب طاعاته معاصيه» [3]

الصلة بين الفسق والفساد:

الفسق هو خروج عن حجر الشرع، والفساد هو خروج عن أي اعتدال، وعلى هذا فإن الفسق أعم من الكفر، لكن الفساد أعم منه.

3_ الطغيان:

الطغيان لغةً: قال المناوي: «تجاوز الحد في العصيان»[4] .

الطغيان اصطلاحًا:

قال الكفويّ، الطغيان هو: «تجاوز الحدّ الّذي كان عليه من قبل، وكلّ شيء جاوز الحدّ فقد طغى»[5]

الصلة بين الطغيان والفساد:

الفساد أعم وأشمل؛ إذ إنه خروج عن الاعتدال، والطغيان هو تجاوز للحدود في العصيان.

4_ البغي:

البغي لغة: مصدر بغى يبغي بغيًا: أي إذا تعدى وظلم. ومنه "بغى الرجل": خرج على القانون، سعى بالفساد[6] .

البغي اصطلاحًا:

هو الظُّلم وَالْخُرُوج على القانون وَالْكبر والاستطالة ومجاوزة الْحَد وَفَسَاد الْجرْح يُقَال برِئ الْجرْح على بغي إذا التأم على فَسَاد[7] .

الصلة بين البغي والفساد:

الفساد أعم وأشمل؛ إذ إن البغي قد لا يقتضي فعلًا، إنما هو طلب، والفساد هو كل خروج عن الاعتدال سواء أكان قلبًا أو قولًا أو فعلًا.

---

(1) التعريفات، الجرجاني. ص 144.

(2) العين، ابن خليل الفراهيدي. 82/5.

(3) تحفة المحتاج في شرح المنهاج، أحمد بن حجر. 6/ 269.

(4) التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين المناوي . ص: 227.

(5) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب الكفوي. ص: 580.

(6) تهذيب اللغة، محمد الهروي. 180/8.

(7) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى. 65/1.

وتأسيسا على ما تقدم، نجد تقاربا شديدا، وذات صلة بين كلمة الفساد ومعناها وبين معاني الكلمات الظلم والفسق والطغيان والبغي.

المطلب الثاني_ صور الفساد ومظاهره كما عرضها القرآن الكريم وحذرنا منها.

يقول الله تعالى: ﴿**وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ**﴾[1]

يقول ابن عجيبة: «وإذا قيل لهؤلاء المنافقين: لا تفسدوا في الأرض بالمعاصي والتعويق عن الإيمان، وإغراء أهل الكفر والطغيان على أهل الإسلام والإيمان، وتهييج الحروب والفتن وإظهار الهرج والمرج والمحن، وإفشاء أسرار المسلمين إلى أعدائهم الكافرين، فإن ذلك يؤدي إلى فساد النظام، وقطع مواد الإنعام»[2] .

فالنهي هنا عامّ يشمل كلَّ فساد قلَّ أو كَثُر، ومن أنواعه: إفساد النفوس والأنساب والأموال والعقول والأديان، فمجالات الفساد متعددة وعرضها القرآن الكريم، لخطورتها على الفرد والمجتمع وإليك بيانها:

أولًا_ الفساد في مجال العقائد.

الفساد في مجال العقيدة، له عدّة صور، منها:

1_ الشرك.

من الأسباب الرئيسة في فساد البشرية الشرك، وهو الذي يترتب عليه فساد نظام الحياة الكونية والبشرية، وهو القائم على عبادة العباد بدلًا من عبادة رب العباد. وقد ذكر القرآن الكريم في معرض حديثه عن أسباب الفساد في العقيدة فقال الله تعالى: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾[3].

يقول الطاهر بن عاشور في معرض تفسيره لهذه الآية: « أي: لو كان في السماوات والأرض آلهة أخرى ولم يكن جميع من فيها ملكًا لله وعبادًا له لفسدت السماوات والأرض واختل نظامها الذي خلقتا به»[4]، ويقول السيوطي: « ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَآ**﴾ أي السماوات والأرض ﴿**ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ**﴾ أي غيره ﴿**لَفَسَدَتَاۚ**﴾ أي خرجتا عن نظامهما المشاهد لوجود التمانع بينهم على وفق العادة عند تعدد الحاكم من التمانع في الشيء وعدم الاتفاق عليه ﴿**فَسُبْحَٰنَ**﴾ تنزيه ﴿**ٱللَّهِ رَبِّ**﴾ خالق ﴿**ٱلْعَرْشِ**﴾ الكرسي ﴿**عَمَّا يَصِفُونَ**﴾ الكفار الله به من الشريك له وغيره »[5] .

فالفساد المترتب على الشرك، هو اختلال النظام وانتفاء النفع من الأشياء. ففساد السماء والأرض هو أن تصيرا غير صالحتين ولا متسقتي النظام بأن يبطل الانتفاع بما فيها. فمن صلاح السماء نظام كواكبها، وانضباط مواقيت طلوعها وغروبها، ونظام النور والظلمة. ومن صلاح الأرض مهدها للسير وإنباتها الشجر والزرع، واشتمالها على المرعى والحجارة والمعادن والأخشاب، وفساد كل من ذلك ببطلان نظامه الصالح.

2_ النفاق.

(1) الأعراف: 56.

(2) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة. 79/1.

(3) الأنبياء: 22.

(4) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور. 38/17.

(5) تفسير الجلالين، جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي. ص 422.

مما ذكره القرآن الكريم في معرض حديثه عن أسباب الفساد، أهل النفاق فهم سبب كل بلية أصيبت بها الأمة، وسبب تسليط العدو عليها، بل هم العدو الحقيقي، فهم الذين يكشفون أسرار الأمة لعدوهم وهم الذين يدلون العدو على مواضع الضعف، وهم الذين يتربصون بالأمة الدوائر، ويبطئونها عن الجهاد ويوالون الكفار حتى حدث بسبب ذلك فساد كبير أصاب الأرض وما عليها.

يقول الله تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ١١ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ**﴾[1] .

يقول عبد الرحمن السعدي: «أي: إذا نهي هؤلاء المنافقون عن الإفساد في الأرض، وهو العمل بالكفر والمعاصي، ومنه إظهار سرائر المؤمنين لعدوهم وموالاتهم للكافرين ﴿**قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ**﴾ فجمعوا بين العمل بالفساد في الأرض، وإظهارهم أنه ليس بإفساد بل هو إصلاح، قلبا للحقائق، وجمعا بين فعل الباطل واعتقاده حقا، وهذا أعظم جناية ممن يعمل بالمعصية، مع اعتقاد أنها معصية فهذا أقرب للسلامة، وأرجى لرجوعه»[2] .

ثانيا_ الفساد في مجال الأخلاق.

القرآن الكريم يعد المصدر الأصيل للتربية الأخلاقية لدى المسلمين؛ حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن الكريم، يتصف بأخلاقه، ويربي أمته بآداب القرآن الكريم. وكتاب الله العظيم قد تضمن منهاجاً وافياً وشافياً في الاعتدال، ولا سيما في الظروف الحالية الصعبة التي طالت خطورتها الأمة الإسلامية والعالم كله، فانحراف بعض الناس عن الطريق الجادة، طريق القرآن الكريم القويم وتقليد الأفكار المنحرفة المدمرة، واتخاذها منهجاً بديلاً عن القرآن الكريم، هذا غاية الفساد في الأخلاق. وقد حذرنا القرآن الكريم منه، ومن أمثلة ذلك:

_ الكبرياء: هي رذيلة من الرذائل الاجتماعية لكونها تغرس الفرقة، والعداوة بين الأفراد، فتقضي على التعاون والمحبة بينهم. يقول الله تعالى في النهي عن التكبر: ﴿**وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾[3] .

أي: لا تعرض عنهم بوجهك إذا كلمتهم أو كلموك احتقاراً لهم، واستكباراً.

_ التجسس: نهانا الله سبحانه وتعالى: عن التجسس في قوله: ﴿**وَلَا تَجَسَّسُواْ**﴾[4] يقول وهبه الزحيلي عن معنى التجسس: «البحث عن العورات والمعايب وكشف ما ستره الناس»[5] فالبحث عن عيوب الناس، وأسرارهم التي لا يرغبون بأن يعرفها الناس عنهم، هو من الفساد الذي ينشر العداوة والفرقة بين الناس، لذا نهى الله تعالى عنه.

_الغيبة: جاء التحذير منها في قول الله تبارك وتعالى: ﴿**وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ**﴾[1] فالغيبة هي أن يتحدث الإنسان بالسوء عن شخصٍ غائبٍ أو بما لا يستطيع أن يتحدث به في حضوره، وهي محرمةٌ؛ لما فيها من الظلم والأذى، وهذا من فساد الخلق.

---

(1) البقرة: 11_12.

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي. ص: 42.

(3) لقمان: 18.

(4) الحجرات من الآية: 12.

(5) التفسير المنير، وهبة بن مصطفى الزحيلي. 26/ 247.

_النميمة: وهي من قبائح الأخلاق؛ لأنّها تُفسد المجتمع وتبث الفتن فيه، والنميمة هي نقل الكلام بين الناس بما يؤدي إلى العداوة والبغضاء بينهم، وهي من كبائر الذنوب، يقول ابن عباس رضي الله عنهما: « ﴿**مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ**﴾[2] يمشي بالنميمة بَين النَّاس ليفسد بَينهم»[3] .

_اتباع الأهواء.

ومما ذكره القرآن في معرض حديثه عن أسباب الفساد قول الله تعالى في اتباع الأهواء: ﴿**لَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ**﴾[4] .

يقول ابن كثير: «لو أجابهم الله إلى ما في أنفسهم من الهوى وشرع الأمور على وفق ذلك؛ ﴿**لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ**﴾، أي: لفساد أهوائهم واختلافها»[5] .

ويقول السعدي:«ووجه ذلك أن أهواءهم متعلقة بالظلم والكفر وفساد الأخلاق، فلو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض لفساد التصرف والتدبير، المبني على الظلم وعدم العدل؛ فالسموات والأرض ما استقامتا إلا بالحق و العدل»[6] .

فالأهواء الفاسدة المختلفة، لا يمكن أن يقوم عليها نظام السماء والأرض ومن فيهن، بل لو كانت هي المتبعة لفسد الجميع.

ثالثا_ الفساد في المجال المالي.

تعد ظاهرة الفساد المالي من الظواهر العالمية المنتشرة في المجتمعات، والخطاب القرآني ينظر لهذه الظاهرة لمعالجتها، فينظر للمال بصفة عامة الحلال والحرام، وجانب الفساد هنا هو في أنواع المال الحرام المكتسبة عن طريق الفساد كالرشوة والمحسوبية والاختلاس وغيرها.

ولا شك أن المال هو عصب الحياة، وقد اعتنى الإسلام بتنظيم علاقات البشر المالية، قال الله تعالى: ﴿**وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ**﴾ [7].

إن المعاملات الاقتصادية من بيع وشراء وإجارة ومضاربة وما شابه ذلك، هي من أنواع التعامل المالي التي هي عقود بين الطرفين، هذا إذا سادها جو الصدق، وعدم التجاوز على حقوق الآخرين، والتزم كل طرف بما يقتضيه العقد، فإن التعامل الاقتصادي والتجاري سوف يكون ناشطاً وفاعلاً وبعيداً عن الخداع والاعتداء والغبن والتدليس، مما يعود على السوق بمزيد من الأموال، وينعكس ذلك أثراً فاعلاً على شيوع قيم الثقة والصدق في المجتمع، وفي المقابل إذا حصل عكس ذلك تنتشر قيم الجشع والظلم والاعتداء والغش التي تؤدي إلى زعزعة الروابط الاجتماعية وتماسك المجتمع، ويهدد استقراره، مما يعدُّ أوضح صور الفساد في الأرض .

---

(1) الحجرات من الآية: 12.

(2) القلم: 11.

(3) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، الفيروزآبادى. ص:481.

(4) المؤمنون: 71.

(5) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير. 5/ 422.

(6) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي. ص:554.

(7) البقرة: 275.

الرشوة[1] .

يقول الله تعالى: ﴿**سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحْتِ**﴾[2]، يقول ابن عطية في تفسيره لهذه الآية: «وقدروي عن ابن مسعود وجماعة كثيرة أن السحت هو الرشوة في الحكم، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به، قيل يا رسول الله وما السحت؟ قال: الرشوة في الحكم»[3] .

الرشوة وهي: بذل المال للتوصل به إلى باطل، إما بإعطاء الباذل ما ليس من حقه، أو بإعفائه من حق واجب عليه، وهذا من قبيل المال الباطل، يقول الله تعالى: ﴿**وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[4] .

إن انتشار ظاهرة الرشوة في مجتمع من المجتمعات، يعني تدمير أخلاق أبناء هذا المجتمع وفقدان الثقة بين أبنائه، وانتشار الأخلاقيات السيئة كالتسيب واللامبالاة، وفقدان الشعور بالولاء والانتماء وسيطرة روح الإحباط.

فإذا فشت الرشوة في مجتمع من المجتمعات فلا شك أنه مجتمع فاسد، محكوم عليه بالعواقب الوخيمة وبالهلاك المحقق.

رابعا_ فساد البيئة.

إن قضايا البيئة واجهت البشر في أخريات القرن الماضي، والتلوث البيئي أصبح هاجساً لجميع الأمم المتقدمة وغيرها، وأصبحت مكونات البيئة من مكان وهواء وماء مهددة بالفساد والاستهلاك، ويجمع المختصون أن السلوك البشري يعتبر أول مهددات البيئة بالإسراف والتبذير والتلوث.

تلوّث البيئة يعد من الإفساد الذي نهى الله عنه في محكم كتابه يقول الله تعالى: ﴿**وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا**﴾[5]، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ**﴾[6] .

وقد أولى الشرع الحنيف أمور البيئة كل العناية، فمن ذلك التنبيه على عدم الإسراف، يقول الله تعالى: ﴿**وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ**﴾[7]، نهى عن الإسراف في الماء، ولو كان ذلك في الطهارة، ولو كان المتوضي على ضفة نهر جار. وحمى الماء من التلوث، فنهى عن البول في الماء وعن التبول في أماكن الناس ومواردهم وإن الاعتداء على البيئة نوع من أنواع الفساد.

خامسا_ الفساد الأمني والاجتماعي.

يقول الله تعالى: ﴿**ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ**﴾[8] .

---

(1) الرشوة هي: ما يعطى لإبطال حق أو لإحقاق باطل. التعريفات الفقهية، محمد البركتي. ص:104.

(2) المائدة من الآية: 42.

(3) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية. 2/ 194.

(4) البقرة: 188.

(5) الأعراف: 56.

(6) البقرة: 205.

(7) الأعراف من الآية: 31.

(8) قريش: 4.

إن الشعور بالحماية والأمن والاطمئنان من الحاجات الأساسية في أي مجتمع، وفقدانه فقدان للمعنى الحقيقي للحياة، وإن شيوع ظاهرة الاعتداء والتجاوز وسفك الدماء تجعل المجتمع يعيش رعباً مما يجعل الحياة بدون أمل وغير قابلة للتطور وهناك حاجات رئيسية وحقوقاً أساسية يحتاجها المجتمع، وبدون تحققها، لا يمكن أن يستمر نحو تحقيق أهدافه، وهي حاجات طبيعية تفرضها ظروف الإنسان الطبيعية من غذاء، وسكن وسلامة وطمأنينة، وتعد حقوقاً أساسية في كل مجتمع، وأي تهديد لهذه الحاجات أو خلل في تلبيتها أو كفايتها يعد فساداً أمنياً واجتماعياً يهدِّد مسيرة الإنسان لأداء رسالته.

المطلب الثالث_ الأساليب القرآنية في مكافحة الفساد.

تنوعت الأساليب القرآنية في محاربة الفساد، إلى النهي عنه وسنة التدافع والكشف عن المفسدين، وإليك بيان ذلك:

أولًا_ النهي عن الفساد وإنكاره.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم وسائل والأساليب في دفع الفساد بمختلف أشكاله، وإذا خلا منه مجتمع عم الفساد، وانتشرت المنكرات، وعم الله المجتمع بالعذاب والهلاك.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أهم سمات الخيرية في الأمة الإسلامية، قال الله تعالى: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ**﴾[1] ومما ذكره القرآن في معرض الحديث عن مقاومة الفساد قوله تعالى: ﴿**فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ**﴾[2]

يقول الشيخ رشيد رضا رحمه الله: «جاءت هذه الآية بعد بيان إهلاك الأمم بظلمهم وفسادهم في الأرض للإعلام بأنه لو كان منهم جماعات وأحزاب أولي بقية من الأخلاق والفضائل والقوة في الحق ينهونهم عن ذلك لما فشا فيهم وأفسدهم، وإذن لما هلكوا، فإن الصالحين المصلحين في الأرض هم الذين يحفظ الله بهم الأمم من الهلاك ما داموا يطاعون فيها بحسب سنة الله. كما أن الأطباء هم الذين يحفظ الله بهم الأمم من فشو الأمراض والأوبئة فيها، ما دامت الجماهير تطيعهم فيما يأمرون به من أسباب الوقاية قبل حدوث المرض، أو من وسائل العلاج والتداوي بعده فإذا لم يمتثل الجمهور لأمرهم ونهيهم فعل الفساد فعله فيهم»[3] .

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو من أسباب التمكين في الأرض، يقول الله تعالى: ﴿ **وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ**﴾ [4]، يقول الشنقيطي رحمه الله: «دليل على أنه لا وعد من الله بالنصر، إلا مع إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فالذين يمكن الله لهم في الأرض ويجعل الكلمة فيها والسلطان لهم، ومع ذلك لا يقيمون الصلاة ولا يؤتون الزكاة ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر فليس لهم

(1) آل عمران: 110.

(2) هود: 116.

(3) تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا. 12/ 201.

(4) الحج من الآية: 40_ 41.

وعد من الله بالنصر؛ لأنهم ليسوا من حزبه، ولا من أوليائه الذين وعدهم بالنصر، بل هم حزب الشيطان وأولياؤه»[1] .

وقد ضرب لنا القرآن الكريم عن الأمم السابقة في النهي عن الفساد، فمثال على ذلك: أمر شعيب عليه السلام قومه بعدم العبث في الأرض مفسدين، وتكرر هذا الأمر في القرآن في ثلاث آيات؛ لأنهم كانوا من أشد الأمم فسادًا في الأرض. قال تعالى: ﴿**وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ**﴾[2] .وقال عز وجل: ﴿**وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ**﴾[3] .

وقال عز وجل: ﴿**وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ**﴾[4] .

فالأمة التي يقع فيها الفساد بتعبيد الناس لغير الله في صورة من الصور، ويجد من ينهض لدفعه هي أمم ناجية، لا يأخذها بالعذاب والتدمير، أما الأمم التي يظلم فيها الظالمون، ويفسد فيها المفسدون، فلا ينهض من يدفع الظلم والفساد، أو يكون فيها من يستنكر، ولكنه لا يبلغ أن يؤثر في الواقع الفاسد، فإن سنة الله تحق عليها، إما بهلاك الاستئصال، وإما بهلاك الانحلال والاختلال.

فالنهي عن الفساد وإنكاره واجب ديني ووطني؛ لذلك اعتني الخطاب القرآني في بيانه للناس.

ثانيًا_ سنة التدافع.

التدافع، دفع هؤلاء لهؤلاء، وهؤلاء لهؤلاء، ومعناه: أن هنالك صراع، بين الخير والشر، بين الحق والباطل، بين الإسلام والكفر. بل هناك صراعات حتى بين الأمم الكافرة نفسها، وقد يقع صراعات بين المسلمين أنفسهم.

إذن إن الذين يطمعون في الإصلاح ودرء الفساد عن الأمة بدون الأخذ بسنة التدافع، إنما يخالفون منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، وإن الذين يؤثرون السلامة والخوف من عناء مدافعة الفساد وأهله يقعون في مشقة أعظم وعناء أكبر يقاسونه في دينهم، وأنفسهم وأعراضهم، وأموالهم وهذه ضريبة القعود عن مدافعة الفساد، وإيثار الحياة الدنيا. قال عز وجل: ﴿**وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ**﴾ [5] ، وقال أيضا: ﴿**وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٞ**﴾[6].

هاتان الآيتان دستور التدافع بين الحق والباطل، وهما يكشفان عن حكمة الله عز وجل العليا في الأرض من تدافع القوى وتنافس الطاقات، وهنا تكشف على مد البصر ساحة الحياة المترامية الأطراف تموج بالناس، في تدافع وتسابق وزحام إلى الغايات، ومن ورائها تلك اليد الحكيمة المدبرة تمسك بالخيوط جميعًا، وتقود الركب المتزاحم المتصارع المتسابق، إلى الخير والصلاح والنماء.

---

(1) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الشنقيطي. 5/ 266.

(2) هود: 85.

(3) الشعراء من الآية: 183.

(4) العنكبوت: 36.

(5) البَقَرَة : 251.

(6) الحج: 40.

يقول الطبري رحمه الله: «ولولا أن الله يدفع ببعض الناس وهم أهل الطاعة له والإيمان به، بعضًا وهم أهل المعصية له، والشرك به لفسدت الأرض، بمعنى: لهلك أهلها بعقوبة الله إياهم، ففسدت بذلك الأرض، ولكن الله تعالى ذو منٍ على خلقه، وطولٍ عليهم بدفعه بالبر من خلقه عن الفاجر، وبالمطيع عن العاصي منهم»[1] .

فمن السنن المهم فقهها: سنة التدافع بين الحق والباطل، والحق هو: الواجب والصحيح والثابت شرعاً اعتقاداً وقولاً وفعلاً، والباطل: ضده فهما ضدان يتدافعان، فكل حق ضده باطل، وكل باطل ضده حق ولا يجتمع الضدان، والتدافع بينهما يعني محاولة غلبة كل منهما للآخر، وهذا يتمثل بمدافعة أصحابهما لأنهما اللذان يحملانها. وهذا التدافع أمر لابد من وقوعه فلا يمكن بقاء أحدهما إلا ويغالبه الآخر.

فالدَّفْع أو التدافع سنةٌ راسخة تقوم بإعادة الترتيب وَفْق سنن الكون الأصلية، تقطع دابر الفساد، وتمنع الإفساد.

ثالثًا_ الكشف عن عمل المفسدين.

المتأمل في الخطاب القرآني يجد أنه كشف عن الفساد والفاسدين أو الإفساد والمفسدين، وهذا من أساليب الخطاب القرآني لمكافحة الفساد، وإليك بيان ذلك:

1_ إفسادهم أنفسهم بالإصرار على المعاصي وما يترتب عليها من مفاسد أخرى.

فكل معصية إفساد، يقول الله تعالى عن فرعون: ﴿**ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ**﴾[2] وكل تولٍ، عن الحق إفساد، يقول تعالى: ﴿ **فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ**﴾[3] وكل إعراض عن الإيمان إفساد، قال تعالى:﴿**وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ** ﴾ [4]

2_الإفساد ما يلحق بالذرية والأبناء والأتباع في اقتدائهم بالكبار المتبوعين في مساويهم.

ولهذا قال نوح عليه السلام: ﴿**إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا** ﴾[5]

3_ إفساد الدائرة المحيطة بالمفسدين عن طريق بث أخلاق وصفات ودعاوى الفساد.

يكون ذلك بالإسراف في المعاصي حتى يتعدى أثرها إلى غير أصحابها، ولهذا قال صالح عليه السلام ناهياً قومه عن التأثر بالمفسدين: ﴿**وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ١٥١ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ**﴾[6] .

4_ إفساد الدائرة الأوسع في المجتمعات عن طريق إشاعة الأمراض الاجتماعية المفسدة بواسطة المضلين.

مثال ذلك: إثارة فتن الشبهات والشهوات، والوقوف في وجه المصلحين وإحداث العقبات في طرقهم زعماً بأنهم يقفون ضد مصالح الناس، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ١١ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ**

(1) جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري. 5/ 372.

(2) يونس من الآية: 91.

(3) آل عمران: 63.

(4) يونس: 40.

(5) يونس: 27.

(6) الشعراء: 151_ 152.

ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ [1] ،وقال الملأ المضلون من قوم فرعون: **وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ** [2] .

5_ الإفساد الناشئ عن فساد الحكام والقادة والزعماء.

ولا شك أن هذا من الفساد الأكبر؛ لأن الكبراء إذا فسدوا في أنفسهم، فإنهم ينشرون الفساد بقوة نفوذهم واستخدام سلطاتهم وقوتهم وقد ذكر القرآن عن بلقيس قولها: **قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۖ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ 34** [3] .

6_ كشف اليهود وفسادهم.وممن كشف الله سبحانه وتعالى فسادهم اليهود، قال تعالى: **وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۚ وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ** [4] .

فكشف الله سبحانه وتعالى للمؤمنين عن سجايا اليهود، حتى يكونوا على بينة منهم، فمن طبيعتهم وأخلاقهم وأعمالهم أنهم كلما عقدوا أسبابًا يكيدون بها للإسلام وأهله، وكلما أبرموا أمورًا يحاربون بها يبطلها الله ويرد كيدهم عليهم، ويحيق مكرهم السيئ بهم، ومن سجيتهم أنهم –دائمًا– يسعون في الإفساد في الأرض، والله لا يحب من هذه صفته.

وإذا رأينا اليوم اليهودية العالمية توقد نار الحرب على البلاد الإسلامية، وتسعى في الأرض فسادًا وتفلح! فينبغي ألا ننظر إلى فترة قصيرة من الزمان، ولا إلى مظهر لا يشتمل على الحقيقة كاملة. فمفتاح الموقف كله في وجود العصبة المؤمنة، التي يتحقق لها وعد الله. فأين هي العصبة المؤمنة اليوم، التي تتلقى وعد الله، وتقف ستارًا لقدر الله، ويحقق الله بها في الأرض ما يشاء؟

إن هذا الشر والفساد الذي تمثله يهود، لابد أن يبعث الله عليه من يوقفه ويحطمه، فالله لا يحب الفساد في الأرض، وما لا يحبه الله لابد أن يبعث عليه من عباده من يزيله واستنادا على ما سبق أقول: كشف الله سبحانه وتعالى عن المفسدين وفضحهم في كتابه الكريم، ولا شك أنه عليم بهم. هو في الحقيقة مصلحة المؤمنين حتى يكونوا على بينة منهم.

(1) البقرة: 11_ 12.

(2) الأعراف: 127.

(3) النمل: 34.

(4) المائدة: 64.

الـــخـــاتـــمـــة.

تم بعون الله وتوفيقه بلوغ هذا البحث المتواضع، وإن من أهم النتائج والتوصيات التي توصّل إليها الباحث، ما يأتي:

أولا_ الـنـتـائـج.

1_ يعطي الخطاب القرآني أهمّية كبرى لمحاربة الفساد، فالفساد لا يعرف الحدود وإن تعدّدت مظاهره فهو واحد مهما كان الزّمان والمكان.

2_ الخطاب القرآني أولى عناية بالغة بقضية الفساد الذي تمارسه بعض الجماعات وبعض الأفراد، وفي ذلك إشارة إلى أنّ خطورة الفساد والجماعات المفسدة وكذلك الأفراد، على الكون أعظم خطورة وأنّ نتائجه تكون كارثيّة على مختلف أرجاء الأرض.

3_ الفساد ملة واحد، فليس هناك فساد محظور وآخر محبوب، وليس هناك فساد ممنوع منعًا باتاً، وآخر باتَ ضرورة لتمرير مصالح معينة.

4_ الخطاب القرآني كافح الفساد بجميع أنواعه: الفساد العقدي والفساد المالي والفساد الأخلاقي، والفساد البيئي، والفساد الأمني والاجتماعي.

5_ هناك شبه تلازم في القرآن الكريم بين مصطلح (الفساد) وبين كلمة (الأرض)، فالقرآن الكريم استخدم كلمة الفساد وتصريفاتها بحدود خمسين مرة، وفي جميع هذه الاستخدامات كان يرد اسم الأرض أو الإشارة إليها.

ثـانـيـا_ الـتـوصـيات.

يوصي الباحث في خاتمة هذا العمل، بالآتي:

1_المؤسسات التشريعية والقضائية إصدار القوانين والقرارات والأحكام الصارمة للحد من الفساد.

2_ الهيئات والمراكز البحثية والمؤسسات التعليمية والدينية ببيان الفساد وأنواعه والتحذير من عواقبه والتذكير بتعاليم الدين الإسلامي وتشريعاته، فيما يتعلق بالفساد والمفسدين في الأرض.

وفي الختام أقول: والله حسبي أني قد كرّست جهدي ما استطعت إلى ذلك سبيلا؛ لإلقاء الضوء على دور الخطاب القرآني في مكافحة الفساد.

أحمد الله سبحانه وتعالى وأشكره على ما منّ به عليّ من إتمام هذا البحث، وما يسّره لي من جمعه وأساله سبحانه، أن أكون قد وفقّت في إيراد المطلوب، وأن يغفر لي ما اجتهدت فيه فأخطأت، وما سبق فيه القلم فزللت، وأن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم. اللهم آمين.

قائمة المصادر والمراجع.

القرآن الكريم. مصحف المدينة المنورة.

1_ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي (المتوفى: 1393هـ)، دار الفكر، بيروت – لبنان، 1415 هـ - 1995 مـ.

2_ البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن عجيبة الحسني (المتوفى: 1224هـ) المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، حسن عباس زكي – القاهرة، الطبعة 1419 هـ.

3_ التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس 1984 هـ.

4_ تحفة المحتاج في شرح المنهاج، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، المكتبة التجارية الكبرى بمصر لصاحبها مصطفى محمد، الطبعة: بدون طبعة، 1357 هـ - 1983 م.

5_ التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى:741هـ) المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة الأولى - 1416 هـ.

6_ التعريفات الفقهية، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1424هـ - 2003م.

7_ التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ)، المحقق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة الأولى 1403هـ -1983م.

8_ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر دمشق، الطبعة الثانية، 1418 هـ.

9_ تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، 1365 هـ - 1946 م.

10_ تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: 864هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: 911هـ)، دار الحديث، الطبعة الأولى ، القاهرة،.

11_ تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين (المتوفى: 1354هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1990 م.

12_ تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ينسب: لعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - (المتوفى: 68هـ)، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: 817هـ)
دار الكتب العلمية – لبنان.

13_ تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)، المحقق:
محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، 2001م.

14_ التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ)، عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت القاهرة، الطبعة الأولى، 1410هـ-1990م.
15_ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1420هـ -2000 م.
16_ جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420 هـ - 2000 م.
17_ الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ) تحقيق: أحمد البردوني، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة الثانية، 1384هـ - 1964 م.
18_ القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى(المتوفى: 817هـ)،تحقيق: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثامنة 1426هـ - 2005 م.
19_ كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى:
170هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
20_ الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: 1094هـ)، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت.
21_ لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (المتوفى: 711هـ)، دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة - 1414 هـ.
22_ المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: 458هـ]، المحقق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 1421 هـ - 2000 م.
23_ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى - 1422 هـ.
24_ المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة.
25_ المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: 502هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق بيروت، الطبعة الأولى- 1412 هـ.